منهج الإمام الإيجي في الترجيح في التفسير ـ جمعًا ودراسة

أ. حمد بن عوض الله بن زبن السلمي*

سلم البحث في ١٤٤٧/١١/١٦هـ اعتمد للنشر في ١٤٤٧/١٢/١٨هـ

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث دراسة وجوه الترجيح عند محمد بن عبد الرحمن الإيجي (ت٩٠٥هـ)، في كتابه "جامع البيان في تفسير القرآن"، جمعًا ودراسة؛ بهدف الكشف عن منهجه في المفاضلة بين أقوال المفسرين، وبيان الأسس العلمية التي اعتمد عليها في اختياراته، وقد انطلق البحث من استقراء لمواضع الترجيح في الكتاب، مع تتبع صيغ الترجيح المختلفة، وتحليل أدلته النقلية والعقلية، وربطها بالقواعد التفسيرية المعروفة عند أهل التفسير، واعتمد البحث المنهج الاستقرائي في جمع مواطن الترجيح، والمنهج التحليلي في دراسة طرقه في الاختيار، ومنهجه في الترجيح، والمنهج النقدي في تقويم ترجيحاته، وبيان مدى اتساقها مع القواعد المعتبرة في التفسير، وقد أظهرت الدراسة سعة علم الإمام الإيجي -رحمه الله-، مما مكَّنه من الترجيح بين الأقوال ورد بعضها بعناية شديدة ودقة بالغة، وقد راعى الإمام الإيجي -رحمه الله- ذكر الأقوال المتنوعة في التفسير وأدلتها بإيجاز، ثم يرجح بينها ويذكر سبب الترجيح بإيجاز، كما كشفت الدراسة عن اجتهاد الإيجي -رحمه الله-، فلم يكن يقلد أحدًا في الترجيحات، ولو كان الترجيح مخالفًا لقول جمهور المفسرين أو أقوال السلف، بل كان مجتهدًا يعتمد على الدليل والنظر والرأي، وانتهى البحث إلى أن ترجيحات الإيجي -رحمه الله- تمثل إضافة علمية كبيرة في قواعد الترجيح في التفسير، وتكشف عن قدرة كبيرة في استخدام وجوه الترجيح بين الأقوال، مع الحاجة إلى مزيد من التقعيد في بعض تطبيقاته.

الكلمات المفتاحية: وجوه الترجيح –الإيجي- جامع البيان –مناهج المفسرين.

Abstract:

Imam al-Iji's Approach to Balancing Evidence in Tafsir Compilation and Analysis

This research examines the aspects of preponderance (wujūh al-tarjīḥ) as employed by Muḥammad ibn ʿAbd al-Raḥmān al-Ījī (٩٠٥ AH) in his work Jāmiʿ al-Bayān fī Tafsīr al-Qurʾān, through a process of collection and analytical study. The research aims to uncover his methodology in weighing the opinions of exegetes, and to elucidate the scholarly foundations upon which his selections were based. The study proceeds from a systematic induction of instances of preponderance throughout the work, tracing the various formulas of preponderance employed, analyzing his transmitted and rational evidences, and situating them within the established principles of Qurʾānic exegesis recognized among the scholars of tafsīr. The

* برنامج الماجستير, قسم الشريعة والدراسات الإسلامية, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, جامعة الملك عبد العزيز, جدة, المملكة العربية السعودية.

research adopts an inductive approach in the collection of instances of preponderance, an analytical approach in examining his methods of selection and his methodology of preponderance, and a critical approach in evaluating his preponderant judgments and assessing their consistency with the authoritative principles of exegetical scholarship. The study reveals the vast erudition of Imām al-Ījī—may God have mercy upon him—which enabled him to weigh competing opinions and refute others with remarkable precision and meticulous care. Imām al-Ījī characteristically presented the diverse exegetical opinions alongside their respective evidences in a concise manner, before proceeding to establish preponderance among them and stating the grounds thereof with equal concision. Furthermore, the study discloses al-Ījī's commitment to independent juridical reasoning (ijtihād), as he did not follow any authority in his preponderant judgments, even when such judgments diverged from the position of the majority of exegetes or the opinions of the early authorities (al-salaf); rather, he was a scholar of independent reasoning who relied upon evidential proof, reflective analysis, and considered opinion. The research ultimately concludes that al-Ījī's preponderant judgments constitute a significant scholarly contribution to the principles of preponderance in Qurʾānic exegesis, and demonstrate a remarkable capacity in the application of the aspects of preponderance among competing opinions, while acknowledging the need for further theoretical systematization in certain areas of his application.
Keywords: Aspects of Preponderance- al-Ījī- Jāmiʿ al-Bayān- Methodologies of the Exegetes.

المقدمة:

الحمدُ لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسانَ ما لم يعلم، القائلِ في كتابه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فلهُ الحمدُ أجزله، وله الشكرُ أكمله على سوابغِ نِعمهِ، وله الثناءُ الحسنُ بآلائه. وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرَ رسوله بالاستزادة من مَعينِ العلم فقال جلَّ وعلا: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ثم مَنَّ عليه بأفضل النعم، وأسبغ عليه من واسع الفضل والمنن، فقال عز وجل: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. فصلواتُ الله وسلامُه على خير الورى، وإمام الهدى، محمد بن عبد الله، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه الأبرار، ومَنْ اقتفى أثرَه واستنَّ بسنتهِ إلى يوم الدين. أما بعد؛ فإنَّ خيرَ ما استُنفِدت فيه الأنفاس، وأنفَسَ ما صُرِفت فيه الأوقات؛ هو كتابُ الله تعالى؛ تعلُّماً وتعليماً، وتدبراً وعملاً. ولا ريبَ أنَّ أشرفَ العلومِ وأزكاها ما كان بكتابِ الله متصلاً، وبعلوم التنزيل مرتبطاً؛ لاسيما علم التفسير، الذي هو المِرقاةُ إلى فهم كلام الله -ﷻ-، والسبيلُ لمعرفة معانيه، والوقوف على حِكمه وأحكامه، والتأثرِ بعِبره وعِظاته؛ وهو شرفٌ

لطالبه وعزٌ لقاصده.

وممن اهتم بهذا العلم الشريف واعتنى به الإمام الإيجي في تفسيره: **"جامع البيان في تفسير القرآن"**، الذي أُخرِج حديثاً في طبعةٍ محققةٍ قُوبلت على ستِّ نسخٍ خطية. وقد حوى جملةً من أقوال السلف، ونُتفاً من فوائد الخلف؛ كما أشار مؤلفُه في مقدمته: "في كلِّ سطرٍ حقائقُ استلفتُ أكثرَها بوجهٍ حسنٍ عن السلف، ودقائقُ أبحتُها من غيرِ بخلٍ عن الخلف".

ويَمتازُ هذا الكتابُ بوسطيَّةٍ منهجيَّة؛ فلا هو بالطويلِ المُمِل، ولا بالمختصرِ المُخِل. لذا عقدتُ العزمَ على دراسة ترجيحاتِ هذا الإمامِ العَلَم؛ المفسرِ المحدثِ اللغوي، مبيناً منهجَه وأوجهَ اختياراته في تفسيره، سائلاً المولى جلَّ في عُلاه التوفيقَ والسداد، إنهُ وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

مشكلة البحث:

اشتمل كتاب "جامع البيان في تفسير القرآن" للإيجي -رحمه الله- (ت٩٠٥هـ) على عدد كبير من وجوه الترجيح، التي تحتاج إلى بيان ودراسة وتحليل.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١) اتصاله بكتاب الله عز وجل؛ فدراسةُ ترجيحات المفسرين من أهمِّ الوسائل المعينة على فهم كلام الله وتدبر آياته.

٢) اعتناء الإيجي بعلوم اللغة والحديث والتفسير، وهي من أجلِّ وآكد العلوم التي يفتقر إليها المفسر لفهم النص القرآني.

٣) تميز المؤلف بجمع أقوال السلف، وتقديمها على غيرها، مع استيعاب تفسيره جملةً من إشارات المتأخرين وإفاداتهم .

٤) أن دراسة وجوه الترجيح عند الإيجي مطلب هام لبيان ما اعتمد عليه في ترجيحه.

٥) تنمية الملكة النقدية لدى الباحث، من خلال دراسة الترجيحات ووجوهها وأدلتها.

أهداف البحث:

١- التعريف بالإمام الإيجي وكتابه جامع البيان في تفسير القرآن.

٢- بيان منهج الإيجي في الترجيح بين الأقوال.

٣- التعرف على صيغ الترجيح وأساليبه عند الإيجي في تفسيره .

٤- الكشف عن أوجه الترجيح عند الإيجي.

الدراسات السابقة

١- منهج الإيجي في تفسيره جامع البيان، للباحث: فادي محمود الريحانة، رسالة

ماجستير مقدمة إلى كلية التربية بالجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٣م.

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن منهج الإمام الإيجي في تفسيره "جامع البيان"، حيث بدأ الباحث بالتعريف بالإمام الإيجي وتفسيره، ثم توسع في عرض مصادره في التفسير، ثم شرع في بيان منهج الإيجي في التفسير، واعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي لاستنباط خصائص هذا التفسير، وتوصلت الدراسة إلى حزمة من النتائج، أبرزها: تميز تفسير الإيجي بمراعاة الإيجاز واختصار الحجم مع غزارة الفوائد العلمية، واعتماده بشكل واضح على التفسير بالمأثور المروي عن النبي ﷺ والسلف الصالح، مع حرصه على تخريج الأحاديث من الكتب الستة.

٢- منهج الإيجي في التفسير بالمأثور: دراسة تحليلة، للباحث عبد الرؤوف خليفة محمد، مجلة كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي، مصر، ٢٠١٨م.

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على منهج الإمام الإيجي في التفسير بالمأثور، وذلك من خلال دراسة تحليلية لكتابه "جامع البيان في تفسير القرآن"، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لتتبع واستقراء أسلوب الإيجي في التفسير، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها: اعتماد الإمام الإيجي بشكل دقيق ومنظم على مصادر التفسير بالمأثور الأربعة لتوضيح معاني الآيات؛ حيث بدأ بتفسير القرآن بالقرآن لتبيين المجمل وتخصيص العام، ثم اعتمد على السنة النبوية المطهرة باعتبارها شارحة للقرآن، تلا ذلك استعانته بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم مع حرصه على تخريج الأقوال من مصادرها الأصلية، وأخيراً استعانته بأقوال التابعين في التفسير.

حدود البحث:

ترجيحات الإمام الإيجي في التفسير من خلاله كتابه جامع البيان في تفسير القرآن؛ لاستخراج الوجوه والقواعد التي استند إليها في الترجيح.

مصطلحات البحث:

الترجيح: هو "تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقوية، أو لتضعيف أو ردّ ما سواه"[1].

منهج البحث:

يسير الباحث في هذه الدراسة على المنهج (الاستقرائي التحليلي المقارن).

([1]) قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي الحربي (١/ ٢٩).

خطة البحث:

المقدمــة: وتـشمل: مـشكلة البحـث، وأهميتـه وأسـباب اختيـاره، وأهدافـه، وحـدوده، ومصطلحاته، ومنهجه، وخطة البحث.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وحياته العلمية، وفيه:

أولًا: اسمه ونسبه.

ثانيًا: مولده ونشأته.

ثالثًا: طلبه للعلم، مذهبه وعقيدته، ثناء العلماء عليه.

رابعًا: شيوخه وتلاميذه.

خامسًا: مؤلفاته العلمية، ووفاته رحمه الله.

المبحث الثاني: منهج الإيجي ومصادره في تفسيره، وفيه:

أولًا: منهجه في تفسيره.

ثانيًا: مصادره في التفسير.

المبحث الثالث: صيغ الترجيح عند الإيجي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح.

المطلب الثاني: التفسير بقول مع النص على ضعف غيره.

المبحث الرابع: وجوه الترجيح عند الإمام الإيجي، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية.

المطلب الثاني: الترجيح بظاهر القرآن.

المطلب الثالث: الترجيح بسياق الآيات.

المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات.

المطلب الخامس: الترجيح بالحديث النبوي.

المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول.

المطلب السابع: الترجيح بأقوال السلف.

المطلب الثامن: الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقاتها.

المطلب التاسع: الترجيح باللغة والشعر.

الخاتمة: النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
التعريف بالمؤلف وحياته العلمية

أولًا: اسمه ونسبه[1]:

هو السيد الفاضل، المفسر، المُحدِّث، الفقيه، المتكلِّم، أبو الفضل، معين الدين محمد، بن صفي الدين عبد الرحمن، بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني

(1) يُنظر في ترجمته: الضوء اللامع للسخاوي (٣٧/٨)، وطبقات المفسرين للأدنه وي (ص٣٧٣).

الإيجي الصفوي الشيرازي الشافعي المكي.

- **الحسيني:** نسبة إلى الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه حيث يعود نسبه اليه - رحمه الله -[١].

- **والإيجي:** نسبة إلى إيج وهي بلدة في أقصى بلاد فارس[٢].

- **الصفوي:** نسبة إلى والده السيد صفي الدين عبدالرحمن بن محمد الحسيني الإيجي.

- **الشيرازي:** نسبة إلى مدينة شيراز[٣] التي سكنها واستوطنها بعد ذلك.

- **الشافعي**: نسبة إلى مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي -رحمه الله-.

- **المكي:** نسبة إلى مكة المكرمة التي ارتحل إليها واستقر بها حتى وفاته -رحمه الله-.

ثانيًا: مولده ونشأته:

وُلد السيد معين الدين الإيجي في جمادى الأولى من عام ٨٣٢ هـ، ببلدة "إيج" من نواحي شيراز، وقد عرفت هذه البلدة بكونها موطناً لكثير من أهل العلم والفضل، منهم: العلامة عضد الدين الإيجي[٤]، وأبو محمد عبد الله الإيجي النحوي[٥]، وغيرهما من أهل العلم.

وفي هذه البلدة كانت نشأة الإيجي في بيئة علم وصلاح، إذ ترعرع في بيت عُرِف بالتقوى والورع، وأثنى عليهم العلماء بالفضل والمكانة، فقد كان والده . السيد صفي الدين الإيجي . عالماً بارزاً في الحديث والفقه والأصول، كما برز عمه السيد عبيد الله بن النور الإيجي، الذي كان حافظاً لمتون الأحاديث صحيحها وسقيمها، وكان شافعي المذهب ثم انتقل إلى مذهب الحنابلة، وهو ممن نال إجازة الحافظ العماد ابن كثير رحمه الله[٦].

---

(١) ينظر ترجمة والده صفي الدين في: معجم الشيوخ لابن فهد (ص١٣١-١٣٢).

(٢) إيج: هي بلدة من نواحي شيراز، كثيرة الخيرات والبساتين، تسمى في الفارسية أيك. ينظر: معجم البلدان، للحموي، (٢٨٧/١).

(٣) «شِيرازُ: بالكسر، وآخره زاي: بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهو قصبة بلاد فارس في الإقليم الثالث» «معجم البلدان» (٣٨٠/٣).

(٤) هو: عبدالرَّحْمَن بن أَحْمد بن عبدالْغفار القَاضِي ولد بايج من نواحي شيراز ٦٨٠ هـ، ولازم الشَّيْخ زين الدّين الهنكي تلميذ الْبَيْضَاوِيّ وَغَيره، ذَا تصانيف مَشْهُورَة مِنْهَا شرح الْمُخْتَصر لِأَبْنِ الْحَاجِب والمواقف والجواهر، مَاتَ مسجوناً فِي سنة ٧٥٦ هـ، ينظر طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة» (٣/ ٢٧)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» (٣/ ١١٠).

(٥) «عبد الله بن مُحَمَّد الأيجي النَّحْوِيّ أَبُو مُحَمَّد روى عَن ابْن دُرَيْد، «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» (٢/ ٦٢).

(٦) الضوء اللامع للسخاوي (١١٩/٥).

ثم انتقل السيد معين الدين الإيجي إلى شيراز، حيث أمضى سنوات شبابه فيها قبل أن يبدأ رحلاته العلمية إلى خراسان وكرمان وغيرها، طلبًا للعلم والمعرفة. واستقر به المطاف في آخر حياته بمكة المكرمة.

ثالثًا: حياته العلمية (طلبه للعلم، مكانته، وثناء العلماء عليه).

لقد كان للبيت الذي نشأ فيه الإمام الإيجي أثر كبير في تلقيه العلم منذ نعومة أظفاره، فقد ابتدأ مع والده العالم الجليل صفي الدين الإيجي ولازمه ودرس على يديه الفقه والعربية والصرف والأصلين، كما أخذ علم المعاني والبيان عن ابن عمه القطب عيسى الصفوي، ثم ابتدأ في رحلاته العلمية وكان صاحب همة ورحلة، ارتحل إلى كرمان وخراسان وقرأ فيهما على كبار طلبة السيد الجرجاني، منهم المولى علي، والمولى خواجا علي فقد قرأ عليهما حاشية شرح المطالع لشيخهما السيد الجرجاني، وأخذ شرح المواقف عن الجاجرمي، ولما ظهر تميزه وتجلَّت ملامحُ عِلميته، قدمه الشيخ خواجا علي وغيره للتدريس بحضرتهم، فتصدى لذلك، وتصدى للإفتاء ببلده، وأجاز له جمع من العلماء، منهم المحب المطري[١]، وزينب اليافعية[٢]، و أبو الفتح المراغي[٣]، وغيرهم من أهل العلم -رحمهم الله-، وارتحل إلى مكة المكرمة أكثر من مرة، ومكث فيها في إحدى رحلاته عشر سنين متوالية، وكانت رحلته إليها بمثابة التفرغ التام للعلم والقراءة والتصنيف، مع حرصه على تجنب ما لا يفيد، وقد استفاد منه في هذه الرحلة عدد من طلاب العلم، وظلَّ مُقيمًا بها حتى وافَته المَنِيَّة، بعد أن أتمَّ تأليف تفسيره المعروف (جوامع التبيان في تفسير القرآن)[٤].

---

(١) مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبدالرَّحْمَن بن مُحَمَّد الْمُحب أَبُو الْمَعَالِي وَيعرف بالمطري، ولد فِي ٧٨٠هـ، بِطيبَة وتفقه بِأَبِيهِ وجده لأمه وَالبوصيري، وسمع من الزين الْعِرَاقِيّ والهيثمي والاسفراييني وغيرهم، كَانَ إِمَامًا عَالما مدرسا ناظما، توفي بالمدينة عام ٨٥٦ هـ. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ١٠٢).

(٢) أم المساكين زينب بنت عبد الله بن أسعد بن فلاح، ابنة الولي الفقيه أبو محمد اليافعي، فاضلة عالمة بالحديث، أجاز لها كثيرون منهم ابن أميلة والأسنوي وغيرهم، توفيت بمكة ٨٤٦ هـ.، ينظر: الضوء اللامع للسخاوي (٤٣/١٢)، والأعلام للزكلي (٦٦/٣).

(٣) مُحَمَّد بن أبي بكر بن الْحُسَيْن بن عمر القرشي المراغي، ولد بالمدينة، سمع على جماعة من أعيان العلماء منهم الزين العراقي وابن الملقن والزركشي وغيرهم، كان إماما عالما، برع في كثير من العلوم، ألَّف المشروع الروي شرح النووي، وتلخيص أبي الفتح لمقاصد الفتح، توفي بمكة عام ٨٥٩ هـ، ينظر: «الضوء اللامع للسخاوي » (٧/ ١٦١)، و«البدر الطالع للشوكاني» (٢/ ١٤٦).

(٤) ينظر: الضوء اللامع للسخاوي (١١٩/٥)، وذيل لب اللباب (ص ١٧١).

مذهبه وعقيدته:

اشتهر السيد معين الدين باتباعه للمذهب الشافعي في الفقه، كما ذكر أهل التراجم والسير[1].

وأما مذهبه العقدي فقد تكلم عنه محققو تفسيره، منهم الدكتور عبد الحميد هنداوي، والمحقق صلاح الدين مقبول، بالإضافة إلى من ترجم له في الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء واللغة والنحو، وأيضًا الدكتور محمد بن راشد البركة في كتابه التفاسير المختصرة تناول فيه عقيدة الإيجي وناقش آراء المحققين السابق ذكرهم.

وقد أشار الدكتور محمد راشد البركة أن رأي الدكتور هنداوي هو الأقرب للصواب، ومن بين ما ذكره الدكتور هنداوي عن الإيجي: «أنَّه على الرغم من تعظيمه للنصوص الشرعية، وموقفه الرافض للاعتزال والفلسفة، إلا أن بعض ملامح التصوف تبدو جلية في آرائه، وهو ما قد يُعزى إلى تأثره بوالده الذي كان صوفيًا. كما أنه أحيانًا يمشي في تفسير آيات أسماء الله وصفاته على طريقة الأشاعرة، وربما ينقل في تفسيرها قول السلف مُتْبعًا إياه بكلام الأشاعرة»[2].

وبين الدكتور البركة رأيه بعد ذلك فقال: «وأما ما يذكره المؤلف في ذلك عن السلف فالظاهر لي بأن المؤلف قد اختلط عليه مذهب السلف بمذهب أهل التفويض الذين يقولون بالتفويض الكامل للنصوص معنى وكيفية، وأما السلف فيثبتون المعنى ويفوضون علم الكيفية فقط، وعدم المعرفة الدقيقة لمذهب السلف من قبل المؤلف غير مستغربة كما هو حال كثير من علماء الأشاعرة على ما ذكره شيخ الإسلام بن تيمية»[3].

والذي يظهر للباحث: أن الإيجي كثيرًا ما يذكر منهج السلف وأقوالهم، ويبدو ذلك جليًا في كثرة نقله عن الحافظ ابن كثير وتبنيه لآرائه، مع نقده لمنهج الفلاسفة والمعتزلة والرد عليهم، إلا أنه يؤخذ عليه عدم وضوح المنهج ووجود تداخل عنده بين منهج السلف ومنهج الأشاعرة، لا سيما في باب الأسماء والصفات والإيمان؛ فتارةً يذكر قول السلف، وتارةً يؤول على منهج الأشاعرة، وأحيانًا يجمع بين القولين، فيذكر

---

(1) وجاء في معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٢/ ٥٤٩)، «من فقهاء الشافعية» ينظر «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (٨/ ٣٧)، والكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة» (٣٠٨/١).

(2) ينظر: تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن» (٧/١). ط. دار الكتب العلمية.

(3) التفاسير المختصرة لمحمد راشد البركة (٢٧٣/١).

قول السلف ثم يورد قول الأشاعرة، وأحيانًا أخرى يتوقف، لكنه الغالب في منهجه أنه إلى طريقة الأشاعرة أقرب. مع تصوف ظاهر في بعض المواضع.

وسأذكر بعض الأمثلة على ذلك:

- في قوله تعالى في سورة الفاتحة: (الرَّحْمَنِ) قال: «الموصوف بصفة إرادة الخير لجميع الخلائق ولا يطلق إلا على الله تعالى»[١].

- وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قال: «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة»[٢].

- وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢] قال: «قال السلف: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، وقيل: علا عليه»[٣].

ويُعَدُ لفظ (قيل) عند الإيجي من مصطلحات المتأخرين وليس من أقوال السلف، مع العلم أن تفسير (ثم استوى) بمعنى (علا) هو قول السلف.

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦]: «بشرط الإيمان فإن الثواب بالأعمال مشروط بالإيمان أو إن كنتم مؤمنين مصدقين لي»[٤] فجمع بين قول السلف وقول الأشاعرة في تفسير هذه الآية.

وقال في سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥]: «والشجرة لا تكون شجرة إلا بعرق وأصل وفرع، كذلك الإيمان لا يتم إلا بتصديق وإقرار وعمل»[٥].

وعند قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، قال: « ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ليس له بخل أصلاً وله غاية الجود وتثنية اليد تدل عليها، وقيل يداه أي: نعمة الدنيا والآخرة»[٦].

والأمثلة كثيرة وليس المقام مقام حصر وإنما مقام بيان وإيضاح.

وأما تصوفه فقد ظهر جليًا في مقدمة تفسيره حين توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به فيما

---

(١) «تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن» (١/ ٢٢).
(٢) «تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن» (٢/ ١١٧).
(٣) «تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن» (٢/ ٢٥٧).
(٤) «تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن» (٢/ ١٩٣).
(٥) «تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن» (٢/ ٢٩٤).
(٦) «تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن» (١/ ٤٨١).

أحـــــاذره..... أنت مـــــــلاذى بك ألوذ وأنت عياذي بك أعوذ.....» [1].

وقد بيَّن المحشي الغزنوي بطلان هذا التوسل وأوضح منهج السلف فيه في حاشيته على الكتاب.

ثناء العلماء عليه:

يُعد العلَّامة السيد معين الدين الإيجي من أبرز علماء القرن التاسع الهجري، وقد عُدَّ -رحمه الله- من أهل الفضل والعلم والدين، فقد قدَّمه شيوخه -على صغر سنه- للتدريس بحضرتهم، وللإفتاء في سنٍّ مبكرة[2]، مما يدل على سعة علمه ودقيق فهمه.

قال عنه الإمام السخاوي رحمه الله: «ونعم الرجل أصلا ووصفا»[3].

وعدَّه أيضًا رحمه الله من الأفاضل[4].

وقال المؤرخ نجم الدين الغزي رحمه الله في وصفه: «معين الدين بن صفي الدين، الشيخ الإمام العلَّامة، المحقق المدقق، الفَهِد، العارف بالله تعالى، صاحب التفسير ... كان من العلماء الراسخين المرتاضين»[5].

ونقل الغزي عن ابن الحنبلي في ترجمة الشيخ محمد الأدهمي المعروف بابن السني أن السيد معين الدين المذكور كان إذا كتب اسمه وصف نفسه بالسُّنِّي لتصلبه في التسنن، حتى كان يأتي الحجرة النبوية ويقف بحذاء قبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويقول: إني وإن كنت منتسبًا إلى علي رضي الله عنه ولكني أعتقد أنك الأفضل منه[6].

ونقل أيضًا عن سبطه السيد قطب الدين: "كان يقول أنا لا أقلد أحداً في تفضيل الشيخين ومن أراد الدليل عليه، فليجيء إلي، وليسمع مني"[7].

قال محقق تفسير جامع البيان الدكتور عبدالحميد هنداوي: "لقد انشغل الإيجي بعلم التفسير ووقف على كتب عدة في جمعه لمادة تفسيره ومما يدل على براعته في التفسير, أنه يجمع في تفسير الآية أقوالا كثيرة بأوجز عبارة, وألطف إشارة, وهذا لا

---

(1) «تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن» (1/ 19).
(2) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (8/ 37).
(3) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (1/ 171).
(4) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (1/ 171).
(5) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: (1/308).
(6) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: (1/308).
(7) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: (1/308)

يستطعه إلا من كان بالتفسير خبيرا وبطرق المفسرين وعباراتهم بصيرا"[١].

وقال أيضًا: "كان الإيجي معظمًا للحديث النبوي غير معرض عنه وله مشاركة بالتأليف فيه"[٢].

وقال الشيخ صلاح الدين مقبول، الذي راجع الكتاب وقدم له وأعاد طبعه، عن السيد معين الدين الإيجي: "عاش -رحمه الله- حياة حافلة بالرحلات العلمية وبالتدريس والإفتاء والتصنيف والتأليف والدعوة والإفادة أينما حل وارتحل حتى جاءته المنية"[٣].

قال الدكتور خالد بن عمر اللوزي، محقق كتاب جامع البيان في تفسير القرآن: "برز الإمام الإيجي في علوم وفنون كثيرة أهلته لخدمة الأصلين كتابا وسنة ويظهر هذا التفوق في تفسيره الجامع، وقد أكسبه هذا التنوع احترام الأئمة الأكابر المبرزين واعترف بمكانته ومواهبه أمام الأقران والخلان"[٤].

رابعًا: شيوخه وتلاميذه.

كان السيد معين الدين الإيجي كثير الرحلات والتنقل في طلب العلم، وقد التقى بجمع من الشيوخ، وتلقى عنهم العلم، وأجازه جمع من العلماء، ومن أبرزهم:

١- والده الشيخ السيد صفي الدين أبو الفضل عبد الرحمن، بن محمد بن عبد الله بن هادي الإيجي الشافعي المكي، كان متكلمًا، له اهتمام بالعلوم الشرعية. درس الحديث على يد والده منذ صغره، واشتهر بالعلم والصلاح، فألَّف ونظم وأجاز. دخل الشام واجتمع بعلمائها، وصنَّف في اعتقاد أهل السنة، كما وضع حواشي على منازل السائرين. أجازه عدد من العلماء منهم التنوخي، وابن فرحون، والزين العراقي، والبلقيني، وابن الملقن، وغيرهم، كان زاهدًا ورعًا، ملازمًا لتلاوة القرآن.

تُوفي في مكة ظهر يوم الجمعة سنة ٨٦٤ هـ، ودُفن في المعلاة [٥].

٢- عيسى بن محمد بن محمد بن عبد الله القطب بن العفيف الحسني الإيجي، ابن

---

(١) ينظر تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ص :(٦/١).

(٢) ينظر المرجع السابق، ص (٦/١).

(٣) ينظر تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد، ط. دار غراس للنشر، ط١، ١٤٢٨هـ، ص١٦.

(٤) ينظر جامع البيان في تفسير القرآن، ت: خالد بن عمر اللوزي، ط. دار أسفار للنشر، ط١، ١٤٤٥هـ، (١١/١).

(٥) «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (٤/ ١٣٥)، و«التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» (٢/ ١٥٠ ط العلمية).

عم صاحب الترجمة، أخذ كثيرًا عن السيد صفي الدين الإيجي (والد معين الدين)، قرأ عليه ابن أخيه عبيد الله كتاب الخلاصة للطيبي في علوم الحديث، وشرح السيد على الكافية لابن الحاجب. وصفه السخاوي بأنه علاَّمة، توفي في أيج سنة ٨٥٩هـ[١].

٣- الجاجرمي: محمد بن موسى السيد، شمس الدين بن شجاع الدين الجربذي الهروي، الشهير بالجاجرمي، أحد علماء هراة، أخذ عن العلماء الأعلام، وأخذ عنه جماعة من الفضلاء منهم معين الدين الإيجي، فقد أخذ عنه شرح المواقف[٢].

٤- المولى علي القوشجي، فلكي ورياضي من فقهاء الحنفية، أصله من سمرقند. رحل إلى بلاد كرمان، وتلقى العلم على علمائها، وصنف الكتب ورحل إلى تبريز، له عدة حواشٍ، منها: حاشية على الكشاف للتفتازاني، وحاشية على شرح السمرقندي على الرسالة العضدية. وأخذ عنه معين الدين حاشية شرح المطالع، توفي عام ٨٧٠هـ [٣].

٥- فضل الله بن روزبهان المعروف بالمولى خواجة علي السمرقندي، وكان ماهرا بالحديث أخذ عنه معين الدين الإيجي حاشية شرح المطالع وهو من تلامذة الجرجاني له شرح الوضعية وحاشية صدر الشريعة جاء في ترجمته أنه توفي عام ٩٢٧هـ[٤].

هؤلاء أشهر مشايخ الإمام الإيجي الذين تلقى عنهم العلم، وممن أجاز له زينب ابنة اليافعي، وأبو الفتح المراغي، والمحب المطري، والتقي بن فهد[٥]، ومحمد بن علي
الصالحي المكي[٦]، والشمس محمد بن محمد بن عمر بن الاعسر[٧].

---

(١) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٥٧/٦).
(٢) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٩٥/١١).
(٣) ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (٤٩٥/١)، ط. دار المعرفة، والأعلام، للزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، ط. دار العلم (٥/ ٩).
(٤) ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول «حاجي خليفة» (٤٠١/٤-٤٠٢).
(٥) محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن فهد التقي الهاشمي الشافعي أبو الفضل، ولد بأصفون في صعيد مصر سنة ٧٨٧ هـ، انتقل الى مكة وسمع بها من الزين المراغي وأبو اليمن الطبري،برع في الحديث حتى صار المعول عليه في الحجاز، من مؤلفاته، تكميل التهذيب، وذيل على طبقات الحفاظ، مات بمكة عام ٨٧١ هـ. ينظر: «البدر الطالع » (٢/ ٢٥٩).
(٦) محمد بن علي بن محمد بن عثمان الشمس أبو المعالي الصالحي المكي، وُلد سنة ٧٦٩ هـ بمكة، رحل إلى القاهرة والشام، تلقى العلم عن عدد من العلماء منهم التنوخي، والبلقيني، والعراقي، والهيثمي، وغيرهم، وقد تلقى عنه الحديث عدد من التلاميذ، منهم النجم بن فهد، والبرهان بن ظهيرة، وآخرون. توفي في مكة سنة ٨٤٦ هـ. ينظر (الضوء اللامع (١٨/٩).
(٧) مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عمر بن مُحَمَّد الشَّمْس الْقرشِي الْهَاشِمِي الْجَعْفَرِي الْغَزِّي الشَّافِعِي وَيعرف بِابْن الأعسر، ولد ٧٦٣ هـ، نزيل بَيت الْمُقَدّس، وتفقه على محمود العجلوني وأجازه هو والبلقيني، ولي القضاء بغزة، ودرس وَأفْتى وَكَانَ فَقِيها فَاضلا عَلامَة، وَمَات بغزة سنة ٨٤٦ هـ. ينظر: «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (٩/ ١٧٦).

تلاميذه:

عُرِف الإمـــام معـــين الدين الإيجي بكثرة رحلاتـــه في طلب العلم، ولعل ذلك كان سببًا في عدم ذكر كثير من المصادر ترجمةً لطلابه وتلاميذه. حتى إن غالبية من ترجم له لم يذكروا سوى اثنين فقط من طلابه. وإنه بعد البحث والتتبع، تبين وجود عدد من العلماء الذين ورد في تراجمهم أنهم تلقوا العلم عن الإمام معين الدين الإيجي، وسأذكرهم بناءً على ما وقفت عليه من خلال البحث:

١- عبيد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن عبيد الله، أبو حامد العلاء بن العفيف الحسيني الإيجي، سبط السيد صفي الدين، قرأ فِي الْمنطق وَغَيره على خَاله السَّيِّد معِين الدّين مُحَمَّد، له كتاب طويل بعنوان مجموع البحار، تُوفي سنة ٨٩٤ هـ [١].

٢- علي بن سعيد بن محمد بن عبدالوهاب بن علي بن يوسف الأنصاري قرأ على السيد معين الدين الإيجي في العربية توفي عام ٩١٠هـ [٢].

٣- حسين بن أحمد بن محمد بن أحمد البدر بن خواجة الشهاب الكيلاني المكي الشافعي، يعرف بن قاوان، ذكر عنه السخاوي أنه أخذ علم الكلام عن المعين بن السيد صفي الدين الإيجي وأخذه عنه في تفسيره كله، توفي عام ٨٨٩ هـ [٣].

٤- عبدالله بن أحمـــد بن محمد بن محمد، السيد أصيل الدين بن إمام الدين بن شمس الدين الحسيني الإيجي، تلقى عن قريبـــه معين الدين بن صفي الدين، علم النحو والأصلين والتفسير، بل سمع منه تفسيره كاملًا، وغيره من العلوم، وكان جلُّ انتفاعه به[٤].

٥- علي بن ابراهيم بن محمد بن أبو يزيد ابن الركن الدين بن عماد الدين الإيجي الشافعي ولد في شوال سنة ٨٦٤ هـ، أخذ عن معين الدين الإيجي الحديث [٥].

٦- الشيخ حسن بن علي بن بسام، أحد علماء نجد، وقد جاء في ترجمته: "من أشهر مشايخه من غير النجديين العلامة الشيخ أبو الفضل معين الدين محمد بن صفي الدين، صاحب التفسير المسمى جامع البيان في تفسير القرآن، فقد مرّ ببلدة أشيقر أثناء سفره إلى المدينة، حيث أقام فيها ولازمه الشيخ حسن البسام، واستفاد منه علمًا ومعرفة، ودون أسئلة سأله إياها في العقيدة والفقه تزيد على الثلاثين، توفي عام

---

(١) «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (٥/ ١١٩).
(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (٥/ ٢٢٤).
(٣) ينظر المرجع السابق (١٣٥/٣).
(٤) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (٥/ ١٢).
(٥) ينظر المرجع السابق: (٥/ ١٥٨).

٩٤٥هـ [١].

خامسًا: مؤلفاته العلمية، ووفاته -رحمه الله.

أولا: مؤلفاته العلمية:

١- جامع البيان في تفسير القرآن قال عنه السخاوي: «وَعمل تَفْسِيرًا فِي مُجَلد ضخم»[٢].

٢- جوامع التبيان في تفسير القرآن، وهذا إما ان يكون تفسيرا آخر غير جامع البيان أو أنه الإبرازة الثانية للكتاب[٣].

٣- «تَفْسِيرِ سُورَة الْفَاتِحَة.»[٤] .

٤- رسالة «فِي تَفْسِيرِ الْكَوْثَرِ»[٥].

٥- شرح الأربعين النووية[٦].

٦- «وَأُخْرَى فِي قَوْله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ أَنْت رَبِّي لَا إِلَه إِلَّا أَنْت خلقتني وَأَنا عَبدِكَ»[٧].

٧- «ورسالة في بيان المعاد الجسماني والروح - خ»[٨].

٨- رسالة في تفضيل البشر على الملك[٩].

٩- «حَاشِيَة على التلويح للتفتاراني»[١٠].

١٠- رسالة في الحيض»[١١].

١١- تهافت الفلاسفة.

١٢- وشعب الإيمان[١٢].

---

(١) ينظر علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ (١/ ٥٣ - ٥٤).

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: (٣٧ /٨).

(٣) ينظر الفصل السادس من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن ط دار اسفار (١/ ٤٤ – ٤٦).

(٤) ينظر هدية العارفين (٢٢٣/٢).

(٥) ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: (٣٧ /٨).

(٦) ينظر هدية العارفين (٢٢٣/٢).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، برقم (٦٣٠٦)، ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: (٣٨ /٨).

(٨) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (١٥٣/١٠)، والأعلام للزركلي (١٩٥/٦).

(٩) ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: (٣٧ /٨).

(١٠) هدية العارفين (٢٢٣/٢).

(١١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: (٣٨ /٨).

(١٢) ينظر هدية العارفين أسماء المؤلفين (٢٢٣/٢).

١٣- رسالة في الكلام النفسي.
١٤- ورسالة في بيان القدر - في الكلام[١].
١٥- شرح أبيات مغني اللبيب [٢].

وجميع هذه المؤلفات ما تزال مخطوطة، عدا جامع البيان في تفسير القرآن وشرح الأربعين نووية فقد طُبِعَا.

ثانيا: وفاته -رحمه الله-:

اختلفت المصادر في تحديد سنة وفاة السيد معين الدين الإيجي على عدة أقوال:
١- ذكر السخاوي أنه توفي في عام ٨٩٤هـ.
٢- ذكر خير الدين الزركلي، وصاحب معجم التراث الإسلامي أنه من وفيات عام ٩٠٥هـ.
٣- ذكر الأدنه وي، وعمر رضا كحالة والعز بن فهد أنه توفي عام ٩٠٦هـ.
٤- نقل نجم الدين الغزي كلتا الروايتين حول وفاته فذكر أنه توفي عام ٩٠٥هـ، وقيل ٩٠٦هـ.

الترجيح:

اتفقت المصادر على أنه توفي في مكة، إلا أنها اختلفت في تحديد سنة وفاته. وبعد البحث والاطلاع، يتبين أن رواية السخاوي (٨٩٤ هـ) تُعدُّ مبكرة، خاصة مع وجود نص صريح من المؤلف نفسه يثبت تاريخًا متأخرًا.

فقد ذكر معين الدين الإيجي في خاتمة كتابه أنه أتمَّه في رمضان سنة ٩٠٥ هـ، مما يدل بوضوح أن وفاته رحمه الله، بعد هذا التاريخ.

وأما رواية ٩٠٥هـ هي احتمال وارد، لكنها تفتقر إلى التوثيق مقارنةً برواية ٩٠٦هـ، إذ لا يوجد مستند أو دليل معتمد يؤيدها. ومع ذلك، فإنها قريبة زمنيًا من تاريخ ٩٠٦هـ..

والذي يترجح لدى الباحث أن وفاة السيد معين الدين الإيجي كانت في سنة ٩٠٦ هـ، استنادًا إلى رواية المؤرخ العز بن فهد المكي، الذي كان معاصرًا لهذه الفترة، ومهتمًا بتاريخ مكة المكرمة عقب وفاة والده المؤرخ الكبير النجم بن فهد المكي. وقد ذكر العز في كتابه بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى، يوم الوفاة وتاريخها،

---

(١) ينظر معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، دار العقبة للنشر، قيصري – تركيا، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، (٢٨١١ /٤).
(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٣٣٠/١).

ووقتها، ومكانها، ومن صلى على الإيجي، وأين دفن، مما يقوى هذه الرواية ويعضدها، فقال: «أنه في ظهر يـــــوم الأحد، السابع عشر من شهر ربيع الأول عام ٩٠٦ هـ، تُوفي السيد معين الدين محمد بن السيد صفي الدين الإيجي، وصُلِّي عليه عند الحجر الأسود بعد صلاة العصر، بإمامة القاضي الشافعي، ثم دُفن بجانب عمه عفيف الدين»[1].

المبحث الثاني

منهج الإيجي ومصادره في تفسيره

أولًا: منهجه في تفسيره:

أوضح المصنف رحمه الله تعالى في مقدمة تفسيره ملامح المنهج الذي سار عليه في تفسيره، ويمكن تلخيص أبرزه هذه الملامح في النقاط التالية:

١- ضمَّن في تفسيره كثيرًا مما وقف عليه من تفاسير من سبقه، وأضاف معانيَ جديدة لم ترد عندهم.

٢- أكثر من ذكر حقائق التفسير الواردة عن السلف، دون أن يغفل أو يبخل بذكر شي ما ورد عن الخلف.

٣- اختار من أقوال السلف ما كان أكثر مطابقة للآية، واغفل ما يبتعد عن المعنى الذي يطابق الآية.

٤- أبعد تفسيره عن الاعتزال والفلسفة، وأكثر من الاستشهاد بأقوال السلف وآرائهم.

٥- جعل المسلك العام في تفسيره قائمًا على المعاني الثابتة عن النبي ﷺ، ولم ينقل شيئًا إلا بعد اطلاع وتتبع تام، كما انتقد صاحب "الكشاف" ومن تبعه في إعراضهم عن المعاني المنقولة عن الرسول ﷺ في الكتب الصحاح.

٦- اعتمد في نقل الروايات على الشيخ الناقد في علم الرواية عماد الدين ابن كثير، ومحيي السنة الإمام البغوي.

٧- في حال وجود اختلاف في الرواية بين عماد الدين ابن كثير والإمام البغوي، فإنه يرجع إلى كتب التصحيح ويعتمد ما رجَّحه العلماء، غير أنَّه كان يميل قليلًا إلى كلام ابن كثير، نظرًا لكونه ممن يعتني بشأن التصحيح والتنقيح للروايات.

٨- أوضح المصنِّف أن الأحاديث المذكورة في تفسيره معظمها من الصحاح الستة، وتخريجها مسطور في الحاشية عليها.

---

(1) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى (٩٣٧/٣).

٩- كل معنى يذكره المؤلف بصيغة "أو" فهو مما ورد عن السلف، وأما ما يذكره بصيغة "قيل" فأكثره من إيرادات المتأخرين، مما لم يظفر فيه بنقل.

١٠- يختار من أوجه الإعراب الأوضح والأرجح، وإذا ذكر وجهين فذلك لنكتة بلاغية لا تخفى[١].

ثانيًا: مصادره في التفسير:

ذكر المصنِّف رحمه الله تعالى في مقدمته المآخذ والمصادر التي استقى منها تفسيره، وهي تسعة[٢] مصادر:

١. **معالم التنزيل** للإمام البغوي.
٢. **الوسيط** في تفسير القرآن العظيم للواحدي.
٣. **تفسير القرآن العظيم** للحافظ ابن كثير.
٤. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** للنسفي.
٥. **الكشاف** للإمام الزمخشري.
٦. **فتوح الغيب** للطيبي، وهي حاشية على تفسير الكشاف.
٧. **الكشف** للقزويني، وهو أيضًا حاشية على الكشاف.
٨. **حاشية التفتازاني** على تفسير الكشاف.
٩. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** للقاضي ناصر الدين البيضاوي.

مصادر لم يذكرها المؤلف:

جامع البيان لابن جرير الطبري، حيث نقل المصنِّف أقوال ابن جرير في سبعة مواضع، لكن معظمها من طريق ابن كثير -رحمه الله- ولعل ذلك سبب عدم ذكره كمصدر.

كما نقل قولًا عن القرطبي في موضع [٣]، ومثله عن الرازي [٤].

منهج الإمام معين الدين الإيجي في ترجيحاته، من خلال الوقوف على الصيغ التي استخدمها في ترجيحاته، والأوجه التي اعتمدها في تقديم قول على آخر، ويأتي هذا بعد استقراء وتتبع جميع ترجيحاته الصريحة ضمن الجزء المحدد سلفاً، ومن ثم تحديد ملامح منهجه في الترجيح والوقوف على أبرز معالمه.

---

(١) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن»، ت: خالد اللوزي، ط. دار أسفار (٨٦/١-٨٨).
(٢) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن»، ت: خالد اللوزي، ط.دار أسفار (٨٨/١).
(٣) جامع البيان في تفسير القرآن» (٢/ ٤٢٢)، ط. دار الكتب العلمية.
(٤) جامع البيان في تفسير القرآن» (٣/ ٣٧١)، ط. دار الكتب العلمية.

وقبل الشروع في صيغ الترجيح ووجوهه عند الإمام الإيجي، أذكر ملامح عامة في منهجه في الترجيح:

١- يستند كتاب "جامع البيان للإيجي " في أصل تأليفه على اختيار وانتقاء الأقوال بعد التتبع الدقيق والاطلاع الواسع عليها، ثم سبرها وترجيح الأنسب منها.

٢- اعتمد الإيجي في تفسيره على نقل العديد من أقوال السلف، وبعضاً من أقوال الخلف بصورة راعى فيها الاختصار، واختيار ما يناسب الآية من معان صحيحة، وغالبا ما يتجنب الترجيح بين الأقوال، إذ إنه قد يكون لكل منها وجه في تفسير الآية.

٣- يكثر الإيجي من قول: وهو قول كثير من السلف، وهو قول أكثر السلف، وهو المنقول عن السلف، ومع ذلك، في بعض الأحيان، يرجح قولاً آخر غير ما نقله عن السلف. ومثال ذلك: قوله عند قول الله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ [الأنبياء: ٨٥]: "كثير من السلف على أنه صالح من بني إسرائيل تكفل لنبي أن يكفيه أمر قومه، ويقضي بينه وبينهم بالعدل وفعل فسمي ذا الكفل لكن الظاهر أنه نبي قرنه في سلكهم"[١].

٤- من منهجه أنه قد يستدل لبعض الأقوال، وأحيانًا يذكر القول ثم يعقبه بعبارات مثل: والحديث يدل عليه، والحديث يؤيده، دون أن يذكر نص الحديث، مع العلم أنه لا يلزم من ذلك ترجيحه، فقد يذكره في سياق الاستدلال على القول، وقد يرجح غيره. ومثال لك: قوله في قول الله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ [النساء: ٩٥]: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} صرح به ابن عباس والحديث الصحيح يدل عليه"[٢]. فلم يذكر نص الحديث رغم استدلاله به.

٥- من منهجه أنه قد يصرح بلفظ الترجيح - وهو موضع دراستنا – كقوله: وهو الصحيح والأصح والأولى والظاهر وغيرها، وقد يستعمل الترجيح الضمني، كما قد يعدد الأقوال ولا يرجح بينها، ويظهر ذلك بوضوح عند ذكره أسباب النزول.

٦- من منهجه في الترجيح أنه يرد بعض الأقوال، وله طرق متنوعة، فقد يردها بلفظ صريح مثل قوله: ولا يصح هذا، أو فليس المختار، أو من خلال استبعاد قول أو تضعيفه كقوله: ضعيف، أو وهذا بعيد، وفيه نظر، كما قد يرد بعض الأقوال بذكر قول معين مع نفي غيره.

---

[١] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٣/ ٣٢).

[٢] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (١/ ٣٩٣).

المبحث الثالث

صيغ الترجيح عند الإمام الإيجي

استعمل المفسرون صيغاً متعددةً وألفاظاً متنوعةً في التعبير عن ترجيحاتهم التفسيرية، وتتفاوت هذه الصيغ من حيث وضوحها ومباشرتها، فبعضها صريح في الترجيح، وبعضها غير صريح، كما أن بعض العبارات تضمنت تضعيفاً لأحد الأقوال أو رده، مما يلزم منه تقوية غيره من الأقوال، وقد استعمل الإمام الإيجي هذه الصيغ في تفسيره، وسأعرض فيما يأتي تفصيلًا لما يعتبر صريحًا في الترجيح عند الإمام الإيجي، لكونها المقصد الأساسي لهذه الدراسة ومحورها:

المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح

يُعدّ هذا الأسلوب من أبرز أساليب المفسرين لتحديد القول الراجح، حيث يذكر المفسّر عبارات تفيد الترجيح من خلال صيغ صريحة ومباشرة، ومن المهم الإشارة إلى أن بعض هذه العبارات تختلف دلالاتها بحسب السياق، فقد تفيد معنى آخر غير الترجيح، لذلك ينبغي التنبه والتأكد عند بحث هذه المسائل من مدى دلالتها على الترجيح من عدمه، وقد قمت بتتبع جميع الصيغ التي استخدمها الإمام الإيجي في ترجيحاته ضمن الجزء المقرر للدراسة من تفسيره، وخلصت إلى تقسيمها إلى نوعين وهما:

أولاً: التصريح بتصحيح أو تقديم أو اختيار أحد الأقوال بلفظ يدل على الترجيح:

وتتفاوت هذه الألفاظ من حيث قوتها وضعفها لكن منها ما يدل صراحة على الترجيح ومنها ما يفيده السياق بدلالته دلالة صريحة على الترجيح.

وبعد التتبع والاستقراء لاستعمال الامام الإيجي لهذه الألفاظ في ترجيحاته وجدته غير مكثر منها وأنا اسردها هنا وهي: " الأصح بل الصحيح ص ١/٢٥٦، ١/٥٩٠، ٢/٣٠٧، ومنها قوله: على الصحيح ص ١/٣٥٨، ١/٥٣٤، ٢/٢٧٦، ٢/٣١٩،" ومنها :" قوله: لذلك اخترناه ص ١/٤٥٦، ومنها قوله: وهذا تصريح بالمقصود، ومنها قوله: والمشهور ص ١/٢٢٦، ٢/٣٢٩، ٢/٣٨٨، ومنها قوله والظاهر ص ١/١٥٧، ١/٢٢٩، ١/٣٧١، ١/٦٠٦، ٢/١٣١، ٢/١٧٥، ٢/٣٢٣.

ثانيًا: الترجيح بصيغة أسلوب أفعل التفضيل:

وهذه الصيغ هي الأكثر استعمالًا في ترجيحات الإمام الإيجي وهي واضحة في الدلالة على الترجيح والاختيار وقد أحصيتها وهي على النحو الآتي:

١- لفظ أولى، والأولى: ١/١٠٣، ١/١١٢٥، ١/١٨٨، ١/٢٠٨، ١/٢٠٨، ٢/٥٧،

٢/٢١٠، ٢/٣٣٩.

٢- لفظ أصح والأصح: ويعد أكثر صيغة استخدمها الايجي في ترجيحاته وقد تجاوزت الثلاثين مرة في الجزء المقرر **١٠٦/١، ١٥٠/١، ١٥٧/١، ٢٠٣، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٦٧، ٤٢٤، ٤٦٠، ٤٧٨، ٤٨٨، ٤٨٩، ٥٠٠، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٨١، ٥٩٣، ٥٩٧، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٤٩، ٦٦٢، ٦٧٠**، كلها في المجلد ١ **/٥/٢، ٧/٢، ٦٥/٢، ١١٧/٢، ١٩٣/٢، ٣٤٠/٢، ٣٤٣/٢، ٣٦٠/٢، ٣٨٨/٢،**

٣- لفظ الأرجح: ولم يستعمله إلا مرة واحدة. ١٤٨/١.

٤- لفظ أظهر والأظهر: ص (١٠٣/١)، (١٦٨/١)، (٢٢٨/١)، (٦٤/٢)، (١١٩/٢)، (٢٠٧/٢). (٢٢٦/٢).

٥- الأفصح: ص (١٤٢/٢).

٦- الأحسن: ص (١٥٢/٢).

٧- أقرب: (٣٤٠/٢).

المطلب الثاني: التفسير بقول مع النص على ضعف غيره أرده

وهذا يعد ترجيحا باعتبار أن القول الراجح منحصر فيما عدا القول المردود أو الضعيف ولذا عده أهل العلم من أساليب الترجيح ومن ذلك ما جاء في التمهيد:" أنه لا خلاف بين أهل العلم والنظر أن المسألة إذا كان فيها وجهان فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما أن الحق في الوجه الآخر، وأنه مستغن عن قيام الدليل على صحته بقيام الدليل على بطلان ضده".

لذا نجد أن الإمام الإيجي رد بعضا من الأقوال وحكى الآخر إما جزما وإما في سياق الإثبات لقول ونفي غيره وقد استعمل في ذلك جملة من الصيغ والألفاظ وهي على سبيل المثال كالآتي:

١- رد أحد الأقوال بقوله والحديث يرده ص ٢٤٨، أو بأنه لا يصح ص ٦٨١، ص٢٠٢/٢،

٢- وصف أحد الأقوال بأنه ضعيف أو بعيد ص ٦٥٠، أو بأنه خلاف الظاهر ص٤٤٤، مثاله: "وقد ضعفهما بعض العلماء ص١٠٥/ ١٠٦ ".

٣- وصف القول بأنه ليس المراد ص ٥٩٣، أو ليس المختار ص ١/٣٧٣. أو فيه نظر ص ٦٥١.

٤- ذكر قول مع نفي الآخر ص٣٧٥، ص ١٦٩.

المبحث الرابع

وجوه الترجيح عند الإمام الإيجي

ولما كان الامام الإيجي يريد من تفسيره هذا أن يكون مختصرا، وقد حاول في كثير من الآيات أن يستوعب أقوال السلف بأخصر عبارة، لم يكن مهتما غالبا ببيان وجه الترجيح، إلا أنه قد يظهر منه ذلك من خلال بعض ترجيحاته التي في جزء الدراسة.

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية.

يعد تفسير القرآن بالقرآن من أجل وأحسن طرق التفسير، بل يعتبر من أصحها وأعلاها مرتبة، ومن أوجه الترجيح بين الأقوال التفسيرية ما يعرف بالترجيح بالنظائر القرآنية ويقصد به الترجيح بناء على ما بين الآيات من التشابه والاتفاق في اللفظ أو المعنى وقد استعمل الإمام الإيجي هذا الأسلوب في تفسيره ومثاله.

ومثاله عند الإيجي: قال رحمه الله في تأويل قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]: "{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمَى وَالْبَصِيرُ}: مثل للجاهل، والعالم أي: لا يستوي متبع الوحي ومن ضل، {أَفَلا تَتَفَكَرونَ} أنه لا تستوي كقوله تعالى: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} [الرعد: ١٩]"[١].

وقوله رحمه الله في تأويل قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]: "{وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ}: أيها الناس، {لِبَعْضٍ فِتْنَةً}: ابتلاء، وامتحانًا كابتلاء المرسلين بالمرسل إليهم، والفقراء بالأغنياء، {أَتَصْبِرُونَ}، علة للجعل أي: لنعلم أيكم يصبر كقوله تعالى: {ليبلوكم أيكم أحسن عملاً} [هود: ٧، الملك: ٢]"[٢].

المطلب الثاني: الترجيح بظاهر القرآن

من أنواح الترجيح بين الأقوال عند علماء التفسير هو الترجيح بظاهر كتاب الله تعالى، قال ابن جرير رحمه الله: "وغيرُ جائزٍ تركُ الظاهرِ المفهومِ مِن الكلامِ إلى باطنٍ لا دَلالةَ على صحتِه"[٣]، فلا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الكريم إلى غيره من المعاني أو الدلالات إلا بدليل واضح يدل على صحة المعنى الخارج عن الظاهر.

---

[١] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (١/ ٥٣٥).
[٢] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٣/ ١٥٠).
[٣] تفسير الطبري (١/ ٦٢١).

ومثاله عند الإيجي: قوله رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]: "{سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} على قتله قيل اسود جسده وتبرأ منه أبواه، وقد ذكر أكثر المفسرين إن الله قد شرع لآدم أن يزوج بناته من بنيه، وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى وكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر فكانت أخت هابيل دميمة وأخت قابيل جميلة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك، وأمرهما بأن يقربا قربانًا فمن تقبل منه فهي له فتقبل من هابيل فحسد. هذا ما نقلوه والذي صح عن ابن عباس ما نقلناه أولاً وهو يشعر بل يدل على أن قربانهما لا عن سبب ولا عن بداءة في امرأة، وهو ظاهر القرآن فلذلك اخترناه"[1].

اختار رحمه الله ظاهر القرآن الكريم في أن القربان الذي قدمه ابنا آدم كان منهما، ولم يكن له سبب في الخلاف على الزواج أو غيره، ولم يقف رحمه الله على دليل يبين غير ذلك، بل صحَّ عنده عن ابن عباس ذلك أيضًا، فاختاره لظاهر القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الترجيح بسياق الآيات

من أنواع الترجيح في تفسير القرآن الكريم سياق الآيات، فلو كان اللفظ يحتمل أكثر من معنى، فعن طريق سياق الآيات يتم تحديد أحد هذه المعاني وترجيحها، باعتباره أقرب إلى الصواب، فيتم ترجيحه[2].

ومثاله عند الإيجي: قول الله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]، قال رحمه الله: "{وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذكورَ} تأخير الذكور؛ لأن سياق الكلام في إطلاق مشيئة الله تعالى من غير اختيار لغيره، والإناث مما لم يشأه الوالدان، وأيضًا للمحافظة على الفواصل، ولذا عرَّفَه، أو لجبر التأخير أني قدمهن توصية برعايتهن لضعفهن، لا سيما وكُنَّ قريبات العهد بالوأد"[3].

احتمل أن يكون تأخير الذكور إما لجبر التأخير أن الله قدَّم الإناث كوصية بالاهتمام والرعاية لهن، واحتمل أن يكون لإطلاق المشيئة من غير اختيار لغيره، ورجحه الإيجي لدلالة سياق الآيات عليه.

---

[1] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (١/ ٤٥٩).
[2] انظر: فصول في أصول التفسير (ص١٣٣).
[3] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٤/ ٧٣).

المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات.

من أنواع الترجيح بين الأقوال كذلك الترجيح بالقراءات المختلفة للقرآن الكريم، فيرجح أحد الأقوال لدلالة قراءة معينة عليها، ويرد الأخرى، وذلك كثير في ترجيحات المفسرين، وقد كثر هذا الترجيح في تفسير الإيجي رحمه الله، ومن أمثلة ذلك:

قول الله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [الزخرف: ٤٥].

قال الإيجي رحمه الله: "{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} السؤال عن الرسل سؤال عن أممهم، ويدل عليه قراءة ابن مسعود (واسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رُسلَنا)" [١].

استدل الإيجي رحمه الله بقراءة ابن مسعود -رضي الله عنه- في تأويل معنى الآية، من أن أمر الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم- بالسؤال عن الرسل؛ أي: السؤال عن الأمم، وليس الرسل بعينهم.

المطلب الخامس: الترجيح بالحديث النبوي.

إن الترجيح بالحديث النبوي هو أقوى ما يمكن أن يعتمد عليه المفسِّر إن صح الحديث، فلا أدرى من النبي -صلى الله عليه وسلم- بكلام الله تعالى المنزَّل عليه، وخاصةً أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا ينطق عن الهوى، فحديثه -صلى الله عليه وسلم- وحي أيضًا من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣-٤].

ومن أمثلة ذلك عند الإيجي: قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥].

قال رحمه الله: "{لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ} عن الحرب {مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ} صفة القاعدين، فإنه ما أراد به قومًا معينًا فهو كالنكرة أو بدل، ومن قرأ منصوبًا فهو حال أو استثناء، نزلت أولاً " لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله " إلخ فجاء ابن أم مكتوم وهو أعمى فقال: يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فغشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه ثم سرى عنه فقرأ: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}، {وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} يعني لا مساواة بينهم وبين من قعد عن

[١] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٤/ ٨٦).

الحرب من غير عذر {فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ} غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ صرح به ابن عباس والحديث الصحيح يدل عليه" [1].

استدل الإيجي رحمه الله على تأويل قوله تعالى {القاعدين} بأنهم غير أولي الضرر، بما جاء في الحديث عن ابن أم مكتوم -رضي الله عنه-، هو الراجح في المعنى بما جاء في الحديث الشريف الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول

من طرق الترجيح في تفسير القرآن الكريم هو معرفة سبب النزول، ومنه يكون الترجيح بين الأقوال إن صحَّ، وقد استدل الإيجي رحمه الله في مواضع كثيرة من تفسيره بأسباب النزول لترجيح قول، أو الاستدلال على مقصود الآيات.

ومن أمثلة ذلك: تأويل قول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ [هود: ٥].

قال الإيجي في تأويل الآية: "{أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ} ثنيت الشيء إذ عطفته وطويته عن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يكرهون استقبال السماء بفروجهم حال وقاعهم فنزلت، أو كان إذا مر أحدهم برسول الله ثنى عنه صدره وأعرض عنه وغطى رأسه فنزلت، أو نزلت حين يقولون إذا رخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم، أو نزلت في الأخنس بن شريق كان يظهر المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وله منطق حلو وكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو إما بمعنى الصرف من ثنيت عناني أو بمعنى الإخفاء أو بمعنى الانحناء، {لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ} من الله وعلى ما نقلنا في الوجه الثاني من سبب النزول الضمير لرسول الله ﷺ" [2].

استدل رحمه الله بسبب نزول الآية، ليرجح أن الضمير في قول الله تعالى: {لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ} عائدٌ لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

المطلب السابع: الترجيح بأقوال السلف

من طرق الترجيح في تأويل الآيات، واختيار الأقوال الترجيح من خلال أقوال السلف، ورأيهم وتأويلهم للآيات، لكن ليس كل أقوال السلف تم الترجيح بها، كما سبق الكلام عنه في تفسير الإيجي رحمه الله، وغيره.

---

[1] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (١/ ٣٩٣).
[2] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٢/ ١٦٢، ١٦٣).

ومن أمثلة الترجيح بأقوال السلف عند الإيجي: قول الله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩].

قال الإيجي رحمه الله في تأويل الآية: "{فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ}: خرج قومه إلى عيدهم، وأرادوا خروجه معهم، فقال: لا أخرج لأني سقيم، أراد التورية أي سأسقم أو سقيم النفس من كفرهم، ولما كان غالب أسقامهم الطاعون خافوا السراية، وخلوه، وكان قومه نجامين أوهمهم استدلاله على مرضه بعلم النجوم، أو المراد أنه تفكر فقال: إني سقيم، والعرب تقول لمن تفكر نظره إلى النجوم كذا قال كثير من السلف"[١].

رجح الإيجي رحمه الله تأويل سقيم في الآية بالنظر في النجوم، لا بمرضه، وذلك بناءً على قول كثير من السلف.

المطلب الثامن: الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقاتها.

من طرق الترجيح في تأويل القرآن الكريم الترجيح بدلالة تصريف الكلمة أو اشتقاقاتها، حيث إن "معرفة تصريف اللفظة وإرجاعها إلى أصلها يعين في بيان الراجح من الأقوال، ورد ما كان غير صواب.

ولا شك أن الألفاظ تختلف معانيها باختلاف تصريفها وإن كانت من مادة واحدة مثل (قسط وأقسط).

فقسط بمعنى جار، ولم يعدل، ومنه قوله تعالى: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن: ١٥].

وأقسط بمعنى عدل، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المائدة: ٤٢]"[٢].

ومن أمثلة ذلك عند الإيجي: قول الله تعالى: ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠-٢١].

قال رحمه الله في تأويل الآية: "{فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ} أي: كان الأولى بهم طاعة الله، وقول معروف بالإجابة، أو معناه فالويل لهم من الولي، وأصله أولاه الله ما يكرهه، واللام مزيدة أي: هذا الويل لهم"[٣].

رجَّح الإيجي في تأويل (أولى), بأنها من الوعيد، واستدل بأصل الكلمة

---

[١] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٣/ ٤٥٠).
[٢] فصول في أصول التفسير (ص١٤١).
[٣] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٤/ ١٤٥).

واشتقاقها، بأنها أصلها أن الله يوليه ما يكرهه، فكانت الآية بمعنى الوعيد من الله تعالى لهم.

المطلب التاسع: الترجيح باللغة والشعر.

نزل القرآن الكريم بلسان العرب، فكان الترجيح بلغة العرب وأشعارهم أحد أنواع الترجيح المتفق عليها بين أهل التفسير، و"إنما يحمل كلام الله على الأغلب المعروف من لغة العرب، دون الأنكر المجهول أو الشاذ.

وذلك أن يكون للكلمة في لغة العرب أكثر من معنى، فيختار المفسر المعروف الأغلب إلا أن يقع دليل على غير ذلك"[1].

ومن أمثلة ذلك عند الإيجي: تأويل قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

قال رحمه الله في تأويل الآية: "{أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا}: عن إيمانهم ولم ينقطع رجاؤهم عنه مع ما عاينوا من لجاجهم، {أن لو يشاء الله} متعلق بمحذوف، أي: علمًا منهم أن لو يشاء الله - تعالى، {لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا} وقيل: متعلق بـ آمنوا، وفسر أكثر السلف أفلم ييأس بـ أفلم يعلم، فقيل: هو بمعنى العلم في لغة النخع، أو هوازن، وقيل فسروه به؛ لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون وقرأ جماعة من الصحابة والتابعين أفلم يتبين الذين آمنوا، قيل: نزلت حين أراد المسلمون أن تظهر آية مما اقترحوا، ليجتمعوا على الإيمان"[2].

فاختار رحمه الله معنى يائس أنه العلم، كما في لغة العرب، فكان معنى الآية: أفلم يعلم الذين آمنوا ويتبين لهم أن الله تعالى لو يشاء لهدى الناس جميعًا وجعلهم مؤمنين.

ومن ترجيحاته بشعر العرب، تأويل قول الله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

قال الإيجي رحمه الله في تأويل الآية: "{لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ} أي: لا تكونوا مثلهم فى ذلك الاعتقاد ليجعل ذلك الاعتقاد حسرة في قلوبهم خاصة دون قلوبكم أو معناه قالوا ذلك واعتقدوا ليجعل، وحينئذ اللام لام العاقبة كقولهم: لدوا للموت وابنوا للخراب"[3].

---

[1] فصول في أصول التفسير (ص١٣٨).
[2] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٢/ ٢٧٥).
[3] تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (١/ ٣٠٧).

في هذه الآية اختار الإيجي رحمه الله معنى ليجعل بأن اللام لام العاقبة، واستدل بقول الشاعر: لِدُوا للمَوتِ، وابنُوا للخَرابِ.

الخاتمة:

وفي ضوء الدراسة الاستقرائية التحليلية لمنهج الإيجي -رحمه الله- في الترجيح في تفسيره "جامع البيان في تفسير القرآن"، خلص البحث إلى النتائج الآتية:

١) تنوعت ترجيحات الإمام الإيجي في تفسيره، ومنها: الترجيح بأسباب النزول، والترجيح بالقراءات، والترجيح بلغة العرب، والحديث والأثر، وكذا أقوال السلف، وظاهر القرآن، والرأي.

٢) كشف البحث عن سعة علم الإمام الإيجي -رحمه الله-، مما مكَّنه من الترجيح بين الأقوال ورد بعضها بعناية شديدة ودقة بالغة.

٣) يراعي الإمام الإيجي -رحمه الله- ذكر الأقوال المتنوعة في التفسير وأدلتها بإيجاز، ثم يرجح بينها ويذكر سبب الترجيح بإيجاز.

٤) لم يكن الإيجي -رحمه الله- يقلد أحدًا في الترجيحات، ولو كان الترجيح مخالفًا لقول جمهور المفسرين أو أقوال السلف، بل كان مجتهدًا يعتمد على الدليل والنظر والرأي.

٥) تمثل ترجيحات الإيجي -رحمه الله- إضافة علمية كبيرة في قواعد الترجيح في التفسير، وتكشف عن قدرة كبيرة في استخدام وجوه الترجيح بين الأقوال.

وبناءً عليه توصل البحث إلى عدد من التوصيات هي:

١) الإكثار من الأبحاث والدراسات المتعلقة بدراسة قواعد الترجيح عند أئمة التفسير من السلف والخلف للاستفادة منها.

٢) أن يتم تجميع القواعد الترجيحية وأوجه الترجيح من كتب السلف والخلف في كتابٍ واحد؛ لتدريسه في الدراسات العليا.

٣) محاولة الجمع بين أصول الفقه وأصول التفسير في كتابٍ واحد نظرًا لارتباط كثير من مسائل الفقه بالترجيح في التفسير.

المصادر والمراجع:

- الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ] الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
- بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، العز عبد العزيز بن النجم بن فهد المكي تحقيق ودراسة: صلاح الدين بن خليل إبراهيم، عبد الرحمن بن حسين أبو الخير، عليان بن عبد العالى المحلبدى، دار القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة المؤلف: شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- التفاسير المختصرة، محمد راشد البركة، كرسي القرآن وعلومه جامعة الملك سعود، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ.
- تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة المؤلف: شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد، الشهير بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند عدد الأجزاء: ٦ الطبعة: الثانية (١٣٩٢ - ١٣٩٦ هـ) = (١٩٧٢ - ١٩٧٦ م).
- ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب المؤلف: أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم العجمي الشافعيّ الوفائي المصري الأزهري، شهاب الدين (ت ١٠٨٦ هـ) دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ) المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي تدقيق: صالح سعداوي صالح إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول - تركيا عام النشر: ٢٠١٠ م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
- طبقات الشافعية المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ) المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- طبقات المفسرين المؤلف: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (ت ق ١١هـ) المحقق: سليمان بن صالح الخزي الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- عادل نويهض قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

- علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.
- فصول في أصول التفسير المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ.
- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية المؤلف: حسين بن علي بن حسين الحربي أصل الكتاب: رسالة ماجستير - كلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤١٥ هـ بإشرف الشيخ مناع القطان الناشر: دار القاسم - السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون المؤلف: مصطفى عبد الله القسطنطيني المعروف بكاتب جلبي وبحاجي خليفة (١٠١٧ - ١٠٦٧ هـ = ١٦٠٩ - ١٥٦٧ م) حققه وعلق عليه: إكمال الدين إحسان أوغلي - بشار عواد معروف شارك في تحقيقه: مهران محمود الزعبي - محمود بشار العبيدي الناشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن - إنجلترا الطبعة: الأولى، ١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م.
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة المؤلف: نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ) المحقق: خليل المنصور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
- معجم البلدان المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.
- معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، دار العقبة للنشر، قيصري – تركيا، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- معجم الشيوخ، عمر بن فهد الهاشمي المكي، تحقيق: محمد الزاهي، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين المؤلف: إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلا، البغدادي مَولدا ومَسكنا [ت ١٣٣٩ هـ] طبع بعناية: وكالة المعارف بإسطنبول، ١٩٥١ - ١٩٥٥ م.